

الخطاب الديني المعاصر بين فقه الوسطية ومعضلة الأمننة.

Contemporary religious discourse between Moderate Jurisprudence
and the dilemma of Securitization

د/ حبيبة رحايبي . قسم الشريعة والقانون

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملتقى وطني:

الخطاب الديني المعاصر في ضوء التحديات الراهنة بين التأصيل ومقتضيات التجديد

الشؤون الدينية ولاية تيارت

بالتنسيق مع: مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته في الجزائر

ومخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة

التابعين لقسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب . جامعة ابن خلدون . تيارت

بتاريخ: 10، 11، 12 شوال 1439هـ / الموافق ل: 24 ، 25 ، 26 جوان 2018

الملخص:

تعني الأمننة ببساطة إعطاء الصفة الأمنية إلى قضية لم تعتبر كقضية أمنية، بالتحديد هي تعريف بعض الفواعل والقضايا كتهديدات أمنية بالرغم من أنها لم تكن كذلك قبل التكلم عنها بطريقة أمنية. أما الخطاب السياسي الإسلامي؛ فهو ذلك الخطاب الأكثر تلونا بالفكر الإسلامي، لأنه المناادي والمطالب بتطبيق الإسلام في الحياة السياسية، باعتباره المرجعية الشاملة والوحيدة والأولى للمجتمع الإسلامي. ومما يتصف به الخطاب السياسي الإسلامي، الوسطية، على اعتبار أن الوسطية هي وجه الإسلام وصورته، وأهم خصائصه، ويعبر عنها بالتوازن والاعتدال، لكن أمننة الخطاب الديني قد تنفي عنه هذه الخاصة، وهذه الميزة، ليصبح الخطاب الديني نتيجة "الأمننة" تهديدا للجماعة، تحاول الورقة البحثية، أن تقدم قراءة في مفهوم وسطية الخطاب الإسلامي، في مقابل أمننة الخطاب الديني (كموضوع أو قضية) داخل المجتمعات الإسلامية، مستخلصة بذلك المستوى الذي قد يكون نطاقا ومجالا لأمننة الخطاب الديني الإسلامي، نتيجة الخروج به عن غاياته وأهدافه إما نتيجة لسوء توظيفه أو نتيجة عدم اعتراف الآخر بهذا الخطاب والعمل على إقصائه نهائيا .

Abstract :

Securitization simply means giving security to an issue that has not been considered a security issue, specifically defining some of the actions and issues as security threats, even though they were not so before they spoke of them in a security way.

The Islamic political discourse is the discourse of Islamic thought, because it advocates and demands the application of Islam in political life, as the sole, comprehensive and first reference to the Islamic community.

One of the characteristics of the Islamic political discourse, is the centrality, considering that that moderation is the face of Islam and its image, and its most important characteristics, which is expressed with balance and moderation, but the Securitization of the religious discourse may deny this characteristic, and this advantage, to become religious discourse as a result of "security."

This paper attempts to present a reading of the concept of moderation in Islamic discourse as opposed to the Securitization of the religious discourse (as a topic or issue) within the Islamic societies, drawing the level that may be the scope of the Securitization of Islamic religious discourse. Or as a result of the non-recognition of the other and to work towards the final elimination, in return, may be used by the Authority in cases where it sees an interest to be used, and in this picture may be subjected to religious discourse forms of criticism and objection, which may reach the level of denial , Resulting in division within Arab Muslim societies, and the reality of the case is the best evidence and witness to it.

key words:

Religious discourse, Securitization, moderation, political discourse, the dilemma of religious discourse.

مقدمة:

الخطاب السياسي الإسلامي؛ هو ذلك الخطاب الأكثر تلونا بالفكر الإسلامي، لأنه المنادي والمطالب بتطبيق الإسلام في الحياة السياسية، باعتباره المرجعية الشاملة والوحيدة والأولى للمجتمع الإسلامي.

ورغم هذا الاتفاق حول مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي إلا أنه، تعدد تصنيفاته، وتنوع وتنشعب بتعدد التيارات والحركات والأحزاب السياسية ذات الصبغة والتوصيف الإسلامي.

ويعتبر الخطاب الشرعي المؤسس على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . مركز السياسة حسب الرؤية الإسلامية، بهما يستأنس في توجيه مدلولاتها وغاياتها في ظل التطورات الحاصلة داخل المجتمعات الإسلامية، فكان هذا الخطاب أساس التكليف في كل ما يتعري تصرفات المسلم؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية

”

ومن هذا المنطلق، يكتسب ما اصطلح عليه باسم "الخطاب السياسي الإسلامي" ، صفته الإسلامية"، فتأسس مرجعيته استنادا إلى مرجعية الخطاب الشرعي بوجه عام.

إشكالية البحث :

يعتبر الخطاب السياسي الإسلامي (المعاصر)، أحد مستويات الخطاب الديني، إما استنادا إلى الفئة التي يتوجه إليها الخطاب؛ أو استنادا إلى مجالات اهتمامه على أنها المجالات ذات المعنى السياسي، واقتراجه بقضايا الشأن العام إما على مستوى التنظير أو على مستوى الممارسة.

و"الأمننة" كمفهوم سياسي، هي ربط للخطاب الديني بالمجال السياسي، لكن هذا الربط نتيجة كون الخطاب السياسي (الديني)، أحد أهم مخرجات ونتائج سقوط الخلافة الإسلامية، وكذا؛ ظاهرة الاستعمار للشعوب العربية والإسلامية، وما أسفر عنه من نشوء الدولة القطرية، على أنقاض دولة الخلافة، وقد دعا كل ذلك، إلى ضرورة الدعوة إلى العودة بالحياة السياسية والعملية للمجتمعات العربية والإسلامية إلى "حضن الشريعة" ومن ثم المناذاة بتطبيق الشريعة في السياسة والحكم، اتساقا مع ما تتطلبه الحياة داخل "المجتمع المسلم"، فكان الخطاب الديني، الذي تطور لأن يصبح خطابا سياسيا أحد وسائل الدعاة إلى تطبيق الشريعة وتحقيق دولة الخلافة .

وعليه؛ ما أثر أمننة الخطاب الديني المعاصر على قيم الوسطية كمحدد لهذا الخطاب؟

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في:

- إعطاء تصور عن مدلول أمننة الخطاب الديني الإسلامي، وهو أمر يكتسي أهمية كبرى لاسيما في ظل المتغيرات التي تعيشها الأمة العربية حاليا .

أهداف البحث: يهدف البحث إلى :

1. بيان تصنيفات ومستويات الخطاب الديني التي تكون محلا للأمننة .
2. بيان أن مجرد اتصاف الخطاب بأنه خطاب ديني، يجعل منه تهديدا متى اقترن بقضية أو موضوع سياسي .

منهج البحث: اعتمد البحث على . المنهج الوصفي، حيث عندت الدراسة إلى التركيز على "خاصية الوسطية" كأحد سمات الخطاب الديني الإسلامي، وأن هذه الخاصة تنسحب على كل أنواعه وتصنيفاته وفي كل مجالاته ومستوياته.

وقد اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة :

المبحث الأول: الوسطية كخاصية للخطاب الديني

يتناول هذا المبحث التعريف بالخطاب الديني، ومعنى وسطية الخطاب الديني في مطلبين اثنين.

المطلب الأول: تعريف الخطاب الديني.

الخطاب مصدر من فعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة، وهذا اللفظ يستعمل عموما للدلالة على توجيه الكلام لمن يعقل ويفهم، ثم انتقل معناه من سياق الدلالة على الحدث المجرد من الزمن، إلى الدلالة الاسمية ، فصار بذلك دالا على كل ما يتم به التخاطب الذي يقضي بوجود طرفين، مخاطب ومخاطب أو

مخاطبين ، يتم بينهما الاتصال وتواصل أحيانا أخرى، عن طريق رسالة محددة المعالم يطلق عليها الخطاب الذي يرسله الأول اتجاه الثاني، ويكون ذا مرجع معلوم عندهما معا¹.

وينظر للخطاب من جهة أخرى على أنه بناء من الأفكار والمفاهيم، تصاغ في صورة بنية استدلالية ذات مقدمات ونتائج أيضا، وتعكس مدى قدرة صاحبه على الانسجام مع المقدمات التي سطرها سلفا، وسعى إلى استثمارها أيضا من أجل تقديم وجهة نظره الإخبارية أو الإقناعية للمخاطب القارئ أو السامع أو الناظر، من هنا اكتسب الخطاب أهمية كبرى بسبب ما يلعبه من دور أساس في تشكيل البنية الذهنية داخل المجتمعات الإنسانية بمختلف مكوناتها ومستوياتها، وكذا التأثير الفعال الذي يتركه في نفوس المتلقين له ، وبذلك عد دائما من الوسائل الخطيرة في توجيه الأفراد والمجتمعات على السواء².

وفي سؤاله: ما هو الخطاب ؟ يجيب فتحي يكن أن « الخطاب هو مادة الكلام المقال أو المكتوب بين المتكلم وبين السامع ، وبين الخطيب والمخاطب، وبين الكاتب والقارئ، والخطاب لغة هو الكلام المنثور المسجوع، ورجل حسن الخطبة أي حسن الكلام، ففي سورة الفرقان قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية 63] ، أي إذا خاطبهم السفهاء بالقول السيء، وفي سورة هود ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [سورة هود، الآية 37] وفي سورة ص قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ﴾ [سورة ص، الآية 20] أي آتيناه البيان المحكم الذي يميز بين الحق والباطل، وفي سورة ص قال تعالى: ﴿ قَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ ﴾ [سورة ص، الآية 23] ، أي غلبي في المكالمات والمناقشة والحوار، وفي سورة النبأ قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [سورة النبأ، الآية 37]، أي لا يملكون كلاما، من هنا كان الخطاب الإسلامي الوسيلة الإعلامية الأفعال في بناء الأمة أو هدمها³ .

أما مصطلح الخطاب الديني من التعبيرات الحديثة في مجال العلوم الاجتماعية عامة، واللغويات الاجتماعية خاصة، شاع هذا المصطلح في الآونة الأخيرة مرتبطا بفكر التجديد، انطلاقا من رؤية تفيد [نه حان الوقت لإعادة النظر في المفاهيم والقضايا الدينية المطروحة على ساحة الفكر والسياسة، والتعلم وغيرها من أجل استخلاص رؤية جديدة تخرج بأمة الإسلام من كبوتها وتعيد لها توازنها⁴.

¹ . محمد فران، مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر، ط1، (المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1428/ 2007)، ص 17

² . المرجع نفسه، ص17

³ . إبراهيم البليهي، وابو يعرب المرزوقي، وأماني أبو الفضل، وآخرون ، الخطاب الإسلامي، إلى أين ؟ بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001 ، " حوارات وحيد تاجا " ، ط1، (دمشق : دار الفكر، 1427 هـ / 2006 م)، ص 396 . 397

ويعرف القرضاوي الخطاب الديني الإسلامي: «البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكريا أو سلوكيا، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية»¹

وعرف أيضا بأنه: الخطاب الديني هو الخطاب الذي يستند إلى مرجعية دينية، من أصول الدين الثابتة، القرآن والسنة، سواء كان منتج الخطاب منظمة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو غير رسمية، أو أفرادا متفرقين، سعيا لنشر دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقا، ومعاملات وبذل الوسع في ذلك.²

أما الخطاب السياسي؛ فهو يحيل إلى مجموعة من المفاهيم والتصورات والمقولات التي تحدد الممارسات السياسية شكلا ومضمونا، وتضبط المواقف والعلاقات بين مختلف الفاعلين داخل مجتمع ما.³

المطلب الثاني: مدلول وسطية الخطاب الديني

تعددت رؤى العلماء في صياغتهم لتعريف واضح للدلالة والمضامين "لوسطية الإسلام" ومن ثمة "وسطية الخطاب الديني الإسلامي"، وهو ما يعبر عن تطور البحث والدراسة على مستوى هذا المفهوم، ونقتصر في هذا المقام على تعريف الوسطية لغة، ولدى بعض المهتمين بهذا الموضوع.

أولا . الوسطية في اللغة العربية: قال ابن فارس: «وسط: الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف واعدل الشيء أوسطه ووسطه»⁴.

وقال ابن منظور: «وسط الشيء ما بين طرفيه»، قال الشاعر:

وأوسط الشيء أفضله، وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه، ووسط الدابة للركوب خير من طرفيها، وقد يكون "وسط" طرفا بمعنى: بين، كقولك: جلست وسط القوم، أي: بينهم: ووسط الشمس، توسطها السماء، وواسطة القلادة: الجوهر الذي هو في وسطها وهو أجودها.

ويقال هو من أوسط قومه، أي: خيارهم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [سورة القلم الآية 28]، ومنه سميت الصلاة الوسطى، لفضلها على سائر الصلوات.

ووسط الشيء وأوسطه: أعدله، قال زهير، مادحا:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

ومعنى وسط: عدل، وشيء وسط أي: الجيد والردى.¹

¹ . يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ط1، (القاهرة: دار الشروق، 1424هـ/2004)، ص15

² . ينظر: عبد السلام حمود غالب الأنسي، مفهوم الخطاب الديني، مقال منشور على موقع السكينة ... ينظر

³ . عبد الغني مزور، تحولات الخطاب السياسي الجهادي، دراسات سياسية، 1 يناير 2018، المعهد المصري للدراسات

⁴ . أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، (دار الفكر، 1979/1399)، ج6 ص108

وقال الجوهري: وسيطا، أي: حسيبا شريفا، وفلان وسيط في قومه، إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا².

وتطلق كلمة وَسَطٌ ويراد بها أحد المعاني الآتية:

1. اسما لما بين طرفي الشيء وهو منه قول ابن منظور في لسان العرب: «.....»
2. تأتي صفة بمعنى خيار وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى. خير من طرفيه، ومرعى وسط: أي خيار منه.

وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها، وهو أجودها، ورجل وسط ووسيط: حسن³.

3. تأتي وسط بمعنى "عدل"، ففي لسان العرب: «ووسط الشيء وأوسطه أعدلته»⁴، وفي القاموس المحيط: الوسط: محرّكة من كل شيء أعدلته. من سلّكه في الدنيا والآخرة⁵.

ثانيا. التعريف الاصطلاحي "للوسطية".

يعرف الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه "الخصائص العامة للإسلام الوسطية بقوله: «الوسطية يعبر عنها بالتوازن ونعني بها التواسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا يتفرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على ما يقابله ويخيف عليه»⁶.

ثم يمثل لذلك، فيقول: مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية، والفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير، وما شابههما، ومعنى التوازن بينهما: أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطى حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم، بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير ولا إفساد، كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن، (7-9)]⁷.

ومن الباحثين الذين تناولوا تعريف الوسطية اصطلاحا الباحث عبد الرحمن السديس، فقال: «أما الوسطية في الاصطلاح، فلها معنى يخص الأمة، ومعنى يخص الفرد.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، ج7 ص430

² أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، (بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ/1987م)، ج3 ص1167

³ . المرجع نفسه.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، ج7 ص430

⁵ الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم عرقسوسي، ط8، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ/2005م)، ص691

⁶ . يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، طبعة جديدة مزيّدة ومنقحة، (بيروت: المؤسسة العامة للرسالة، 1404/1983)،

ص127

⁷ . المرجع نفسه، ص127

أما وسطية الأمة فهي: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية والصلاح، مما جعلها أهلاً لتكون شاهدة على العالمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة الآية 143].

ووسطية الفرد، فهي: التوسط في الأمور باختيار أفضلها وأحسنها وأعدلها، فالوسطية هي الخيرية والأفضلية، وكل وسط يصاحبه الخير ويكون هو الأفضل، من ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة عن أفضلية قريش: «هم أوسط العرب نسبا ودارا»¹ 2

أما منى أبو الفضل نجد رؤيتها للوسطية رؤية جامعة وشاملة، والوسطية طريق ثالث، فضلا عن أنها نموذج وحالة وموقف، وليست متوسطا حسابيا، فالأمة الوسط في منظور الإسلام:

1 . من حيث كون الجماعة التي يعبر عنها محور جذب واستقطاب، ومن ثم هي مصدر التوازن والانسجام بين الجماعات البشرية.

2 . أمة وسطا من حيث الاعتدال في المزاج واجتناب الإفراط والتفريط

3 . "وسط" من حيث موازين القيم لأنظمة التي تقوم عليها، فالنسق القيمي والإسلامي يوازن بين القيم الفردية والجماعية والمسئوليات؟ أي الواجبات والحقوق الاجتماعية³.

كما ترتبط الوسطية في الإسلام . حسب منى أبو الفضل . بجغرافية المكان، حيث إنه من اللافت . حسب رأيها . أن الحزام القاري الإسلامي، يمثل امتدادا استراتيجيا وبشريا مستقلا يتوسط المعمورة، حتى إن هناك من أطلق عليه اسم القارة الوسطية⁴

ويرى حاج حمد أن الوسطية مكانية ربطها الله عز وجل بالحضور لقوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، والشهادة على الناس يلزم عنها الحضور، فمصطلح الأمة الوسط، يحمل في جوفه الاصطفاء الرأسي النبوي، ويحمل في جوفه تقديس الأرض الكنعانية، وكذلك تحريم الأرض في الحجاز، ونزول الكتب السماوية، وكلها دلالات جغرافية، لذلك جعلها الله منطقة إشعاعية للعالم، وهذا هو مفهوم "الأمة الوسط" ولا علاقة له له بالتوسط بين الشيئين.

ويميز حاج حمد بين "الأمة الوسط والوسطية"، فيقول: قد اتخذ البعض مفهوم "الأمة الوسط" دعوة الوسطية الفكرية والسياسية، وليس القرار بأي وجه من هذه، إذ أن القرآن "منهجي" له ضوابطه المعرفية"

¹ . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي . رضي الله عنه، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا»، حديث رقم 3668

² . عبد الرحمن عبد العزيز السديس، بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، ط3، (الرياض: مدار الوطن للنشر، 2017/1438)، ص22

³ . ينظر: منى أبو الفضل، الأمة القطب نحو تأصيل منهجي لمفهوم الأمة في الإسلام، ط1، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996)، ص45

⁴ . المرجع نفسه، ص45

ويحدد للأمة الوسط مكانتها، حيث تمتد الرقعة الجغرافية والبشرية للأمة الوسط ما بين الأرضين "الحرام" حيث منطلق الدعوة والأرض المقدسة، حيث امتدادها، وحيث يخرج الأميون بعد أن تحولوا إلى كتابيين باتجاه الأرض المقدسة، وما حولها لتكوين الأمة الوسط¹.

جعل حاج حمد دلالة واحدة لمفهوم الأمة الوسط، وهي الدلالة المكانية الجغرافية، دون أن يحيط مفهومه بدلالات متجاوزة كما نجد عند غيره، وهي تندرج عنده في سياق منهج يتبناه في كتابه العالمية الإسلامية الثانية².

وصراط الله المستقيم الذي هو الإسلام الشامل لقضايا الإيمان وأسس المعرفة والمبادئ والمفاهيم الكلية والجزئية والأخلاق والتشريعات والأحكام والوصايا المبينة في كتاب الله وفي الثابت من سنة رسوله - ﷺ . ذوات التوجيه لأعمال الخير الباطنة والظاهرة، والتي يكلف بها المكلفون من الناس، صراط مستقيم معبد واضح مضيء، ليس فيه عوج ولا إلتواءات ولا أمت (أي: ليس فيه ارتفاعات وانخفاضات وحفر ومعاثر)³

ويدل على وسطية الإسلام أخذنا من فحوى النصوص كونه الصراط المستقيم الموصل إلى الغاية الحميدة المسعدة ل.....

. واستخلاصا من الآيات القرآنية، يمكن تعريف الوسطية بأنها: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحججة عليهم⁴.

ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطا في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب⁵,

والتأمل فيما ورد في القرآن الكريم والسنة والمأثور من كلام العرب فيما أطلق وأريد به مصطلح الوسطية يتضح له أن هذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتان:

1 . الخيرية: أو ما يدل عليها كأفضل والأعدل أو العدل.

2 . البينية: سواء أكانت حسية أو معنوية.

¹¹ . عبد العزيز راجل، مفهوم الوسطية في الخطاب الإسلامي المعاصر نقلا عن: محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية جدلية

الغيب والإنسان والطبيعة)

² . عبد العزيز راجل، مفهوم الوسطية في الخطاب الإسلامي المعاصر، مؤمنون بلا حدود، ص9 على الرابط:

<http://mominoun.com/auteur/20>

³ . عبد الرحمن حبنكة الميداني، الوسطية في الإسلام، ط1، (بيروت: مؤسسة الريان، 1996/1416)، ص11. 10

⁴ . فريد عبد القادر، الوسطية في الإسلام، ص29

⁵ . عبد الرحمن حبنكة الميداني، الوسطية في الإسلام، (مرجع سابق).

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر، فلا يكون داخلا في مصطلح الوسطية. والقول بأن الوسطية ملازمة للخيرية. أي أن لكل أمر يوصف بالخيرية فهو وسط، فيه نظر، والعكس هو الصحيح، فكل وسطية تلازمها الخيرية، فلا وسطية بدون خيرية، ولا عكس فلا بد مع الخيرية من البينية حتى تكون وسطا. وكذلك البينية. أيضا. فليس كل شيئين أو أشياء يعتبر وسيطا وغن كان وسطا، فقد يكون التوسط حسيا أو معنويا، ولا يلزم بالوسطية كوسط الزمان أو المكان أو الهيئية ونحو ذلك، ولكن كل أمر يوصف بالوسطية فلا بد أن يكون بينيا حسا أو معنى.

ومن هنا نخلص إلى أن أي أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعا فهو الذي يصح أن نطلق عليه وصف: الوسطية، وما عدا ذلك، فلا¹.

المبحث الثاني: أمنة الخطاب الديني وكيفية حدوثها وأسبابها .

يحاول هذا المبحث توضيح مدلول أمنة الخطاب، كيفية حدوثها، وأسباب أمنة الخطاب في مطالب ثلاثة كالاتي:.

المطلب الأول: مدلول أمنة الخطاب .

تنطلق نظرية الأمنة من تعريف الأمن كمارسة خطابية أو سياق تكلم تفترض هذه النظرية بأن أي مشكلة أو حادثة اجتماعية ستصبح قضية أمنية من خلال التكلم عنها بعبارات تحمل معاني الخطر والتهديد .

تحدث الأمنة حين يقوم فاعل معين بالحديث عن مشكلة اجتماعية معينة كتهديد أممي وجودي، كأن يتكلم أي مواطن عن مشكلة الهجرة كتهديد زدودي آمنه ورفاهيته . بالتالي . تفترض النظرية بأن عملية الأمنة لن تحدث بدون أن يتكلم الفاعل عن المشكلة باستخدام مفردات التهديد².

يمكن تعريف الأمنة بأنها: «قدرة القاعل على التكلم عن مشكلة معينة باستعمال مفردات أمنية، وأقناع الجمهور بها، ثم استعمال التدابير والإجراءات لمواجهةها»³.

المطلب الثاني: العملية المؤدية إلى إنتاج الأمنة:

يمكن وصف نظرية الأمنة بأنها نظرية التعبئة Mobilization والتسييس politicization، أو لنقل التعبئة السياسية، وكما هو معروف في هذا النوع من النظرية، تلعب اللغة دورا حاسما في العملية التعبوية وفي تجنيد الدعم المطلوب لأي إجراء سياسي، وقد حدد "ويفر" معالم هذا الدور بشكل واضح من خلال وضعه كشرط ضروري لإطلاق عملية "الأمنة: بدون لغة أو بدون كلام، لن تحدث الأمنة، يصف

¹ . علي محمد محمد الصلابي(المصري)، الوسطية في القرآن الكريم، ط1، (الإمارات الشارقة: مكتبة الصحابة، والقاهرة: مكتبة التابعين،1422/

2001)، ص 34

² المرجع نفسه، ص71،

³ . المرجع نفسه، ص75

ويُفر حدوث الأمانة كمتغير نتيجة أو مرحلة أخيرة من سلسلة من الخطوات المتساندة، وبالرغم من أنه لم يقدم تعريفاً صريحاً لمصطلح الأمانة، إلا أنه أسهب نوعاً ما في شرح العملية process المؤدية إلى إنتاجها. ويمكن عرض هذه العملية، والأمانة بصفة عامة في ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: تتمثل في تحديد المشكلة الأمنية، أي ما في القضية أو الفاعل الذي سوف يعتبر كتهديد وجودي فعلي أو محتمل عادة ما تكون هذه المشكلة ذات طابع اجتماعي في الأساس (كالمخدرات والهجرة مثلاً)، ولكن بمجرد تسييسها تعطى منزلة مرادفة للتهديد.

المرحلة الثانية: بعد تحديد المشكلة الأمنية، تأتي الخطوة الافتتاحية في الأمانة من خلال التكلم عن هذه المشكلة، ويشير " ويفر" إلى أن الفئة التي تحدد المشكلة الأمنية ويتكلم عنها بعد ذلك هي نخبة الدولة أو السلطة بشكل عام، وكما يكتب بنفسه: «ستصبح المشكلة الأمنية قضية أمنية متى يعتبرها حامل السلطة كذلك»، بهذه الكيفية تصبح المشكلة (مهما كانت) قضية أمنية متى تكلم عنها أولئك الموجودون في دائرة السلطة، حيث تقوم نخبة الدولة بتعريف بعض الفواعل كتهديدات أمنية تماشياً مع مصالحها المقطعية، في حين تضفي على بعض القضايا أبعاداً أمنية لإعطائها صبغة الأولوية ورفعها إلى قمة الأجندة الأمنية للدولة، حيث يعترف " ويفر" بأن تعريف القضية كمشكلة أمنية يغير موقعها حيال مواقع جميع القضايا الأخرى¹.

ولكن تكلم النخبة أو السلطة بمفردات أمنية، غير كاف لحدوث الأمانة، لأنها تبقى متوقفة على التأثير المتوقع الذي يحدثه الخطاب في المستمعين أو جمهور معين. هكذا تتمثل المرحلة الثانية في تلقي المجتمع أو الجمهور للأمانة.

هنا يحتمل استقبالها نتيجتين: إما أن يقبل الجمهور تعريف السلطة للتهديد (كالقبول بأن المهاجر خطر أو المسلم إرهابي)، وبذلك ينشر الأمانة إلى القاعدة لتصبح في النهاية الخطاب المهيمن في المجتمع، أو لا يقبل تعريف السلطة للتهديد وتفشل الأمانة، هذا يعني أن الأمانة متوقفة على النجاح في تكلم الأمن، أو ما دعاه أوستن بالقوة التأثيرية للكلام².

المرحلة الثالثة: في حال نجاح السلطة في إقناع الجمهور بأمنيتها، تأتي المرحلة الثالثة، وهي استعمال مجموعة من التدابير والإجراءات غالباً ما تكون استثنائية وطارئة، لمواجهة التهديد واحتوائه، وتفترض نظرية الأمانة بأن تعريف فاعل أو قضية معينة كتهديد وجودي تمنح السلطة الحق في استعمال الإجراءات الاستثنائية للتعامل معها، فبمجرد تحرك الأمانة، تنتقل القضية في مجال السياسة العادية Normal

¹ سيد أحمد قوجيلي، فهم الأمانة مقارنة نقدية للدراسات الأمنية، ص 74

² المرجع نفسه، ص 74

Politics حيث تسود القواعد الديمقراطية، إلى عالم سياسة الطوارئ حيث يتم تعليق العمل بهذه القواعد¹.

المطلب الثالث: أسباب التوجه نحو أمنة الخطاب الديني المعاصر

يمكن إرجاع ذلك إلى عدد من الأسباب منها:

1 . أسباب تاريخية ناتجة عن سقوط الخلافة الإسلامية، وخضوع مختلف الشعوب العربية والإسلامية للسيطرة الاستعمارية والاحتلال الأجنبي عهداً طويلاً من الزمن، أدت إلى انكماش العلاقة وفتورها بين الجماعة والدين، خاصة وأن المستعمر لم يترك ساحته من دون خليفة له، تعمل على تقويض عرى الترابط والاتفاق بين أبناء المجتمع الواحد، وهو ما أوجد طبقة أو فئة جديدة تنتمي للأرض والوطن دون أن تنتمي بالضرورة إلى الدين وما يحمله الدين من أحكام عامة شاملة، وقصرت هذه الجماعة ارتباطها بهذا الدين وفي حالات قليلة بالعقيدة التي تعتنقها على أحسن الأحوال.

2 . انحصار الدين عن الحياة العامة والشأن العام للمسلمين، وجعل الدين مقتزناً بما هو فردي، وفي علاقة الفرد بربه، وبالتالي انتفاء أن يكون الدين مهيمناً على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهو ما جسدهت الدولة العلمانية وإن قيل عنها أنها دولة مدنية .

المبحث الثالث: معضلة أمنة الخطاب الديني وأثرها على قيم وسطية الخطاب .

ويتناول هذا المبحث مدلول المعضلة الأمنية (في مطلب أول)، وأثر الأمنة على قيم وسطية الخطاب الديني (في مطلب ثان)، والمعضلة المجتمعية مخرجات لأمنة الخطاب الديني (في مطلب ثالث)، وذلك كالآتي:

المطلب الأول: معضلة أمنة الخطاب الديني

تعتبر فكرة معضلة أمنة الخطاب الديني على أن هذا الخطاب يعيش حالة مأزق، هذه الحالة تؤول به ضرورة إلى تراجع دوره، وبالتالي فقدان مصداقيته اتجاه المخاطبين به، وذلك عبر مختلف المستويات التي يتوجه إليها الخطاب الديني.

إن القول بأمنة الخطاب الديني هو اشتماله على قضايا وموضوعات تنتقل به من مجرد كونه خطاب إلى جعله لصيقاً بالسياسة، واقتزان الخطاب بالسياسة، يجعله المخالفين لهذا النمط من الخطاب للقول بتسييس الخطاب، وتسييس الخطاب هو خروج به عن أهدافه وغاياته.

قد توحى عبارة "الخطاب الديني" في بعده السياسي، إلى أن الممارسين لهذا الخطاب هم ذوي التوجه الديني، لكن الأمر ليس بهذا الإطلاق، إذ قد تلدأ الدولة فضلاً عن الحركات والأحزاب السياسية ذات التوجه الديني إلى استخدام الخطاب الديني، والانتقال به إلى ما عبر عنه البحث بالأمنة، وفي كثير من

¹ . المرجع نفسه، ص 74 . 75

الحالات ، يقع تسييس الخطاب الديني، وهنا تبرز أحد أبعاد معضلة أمنة الخطاب الديني، وهو ما يدعو إلى محاولة تقديم رؤى من شأنها أن تحفظ للخطاب الديني هويته من خلاله ثوابته ومركزاته، وبالتالي العمل على نقل ذلك إلى المخاطبين، وضبط محددات بعينها تكون سياجا يحمي الخطاب الديني من الاختراق، وبالتالي يحافظ على أداء دوره وعلى الدفاع على ثوابته ، وإن استغل من قبل الساسة في أغراض لا تخدم أهداف الخطاب الديني بقدر ما تخدم أغراض السياسة ومصالحها، والتي لا تجري في سياق أهداف وغايات الخطاب الديني.

المطلب الثاني: تأثير وسطية الخطاب الديني المعاصر بمفاهيم الأمنة .

يفسر السيد قطب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ بقوله: «وإنما للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو بمعناه المادي والحسي، أمة وسطا في التصور والاعتقاد، أمة وسطا في التفكير والشعور، أمة وسطا من التنظيم والتنسيق، أمة وسطا في الارتباطات والعلاقات، أمة وسطا في الزمان، وأمة وسطا في المكان»¹، فكيف تنعكس أفكار ومفاهيم الأمنة على قيم الوسطية المشار إليها إجمالاً في تفسير الآية الكريمة.

إن فكرة أمنة الخطاب الديني، معناه نقل الشعور والعمل على توكيده لدى الجمهور بالخطورة والتهديدات التي تحملها المضامين الدينية في أي مجال من المجالات، ولا يخفى أثر ذلك في المجتمعات العربية والإسلامية التي تقوم في ثقافتها وأبعادها القيمة على اعتبار "الدين" محمدا وإطارا جتمعا لهذه الحياة، تنصر في سياقه الجماعات وتتقارب بدل أن تتفتت وتتلاشى وتبتعد، وهو ما يضرب بقيم الاعتدال والوسطية كخاصية للخطاب الديني .

معنى ذلك، هو انحسار الدين عن الحياسة العامة، وتحوله من شأن عام إلى شأن خاص، وبالتالي حدوث التحول على مستوى الخطاب المجتمعي أو الاجتماعي، ليلبس لباسا غير لباس الدين، إذ أصبح الدين في أكثر المجالات حساسية من الخطورة بمكن، وبالتالي يصبح في ذاته تهديدا لقيم وطنية، يأتي على رأسها "استقرار الجماعة ووحدها" ، وهو ما يفضي إلى المعضلة المجتمعية .

المطلب الثالث: المعضلة المجتمعية مخراجات لأمنة الخطاب الديني.

المعضلة الأمنية تقابلها في اللغة الإنجليزية The Security Dilemma، ويستعمل للدلالة عليها عربيا عبارة "المأزق الأمني" ، أول من صاغ المصطلح هو "جون هارتز" " John Hartz " في كتابه " Idealist internationalism and security dilemma " الذي نشر عام 1950، وأيضا البريطاني هربرت بيتر فيلد " Herbert Butterfield " في كتابه " History

¹ . سيد قطب ، ظلال القرآن، ط17، (بيروت والقاهرة: دار الشروق، 1412)، ج1 ص131

and Humain Relation " الصادر عام 1954، والذي أشار إلى أن المعضلة الأمنية باعتبارها مأساة "Tragedy"¹.

كان لباري بوزان الفضل في التعريف بالمأزق أو المعضلة الأمنية، والتي يتمحور مفهومها حول عدم إحساس مجموعة ما باللا أمن إزاء السلطة الإقليمية أو المجموعات التي تشاركها نفس الإقليم، فإن ذلك يؤدي إلى ما يسميه "باري بوزان" بالمعضلة الأمنية المجتمعية، والتي تنعكس على مستوى التهديدات التي تستشفيها هذه المجموعة تجاه تطورها في ظروف مقبولة دون مساس بلغتها، ثقافتها، دينها، دعائها، هويتها بشكل عام².

لكن؛ إذا تصاعدت حدة المعضلة الأمنية المجتمعية، فإن نتائجه قد تكون خطيرة وتمتد من التنافس لاستنفاد موارد نادرة (كالموارد الطبيعية أو المخصصات الحكومية)، إلى السعي لإزالة الطرف الآخر من الوجود عبر التصفية الإثنية، ولأن المدنيين والنساء والأطفال والشباب هم الذين يحملون بذور بقاء الآخر واستمراره، فإنهم يشكلون الهدف المفضل لأطراف المعضلات الأمنية المجتمعية، ويكرس ذلك أكثر انهيار احتكار الدول لاستعمال وسائل العنف أو الإقرار بالعلاقات الاجتماعية التي تدفع إلى إثارة النعرات الإثنية في المجتمع، ويصعب في وضعية كهذه الاحتفاظ بالنظرة التقليدية التي تعتبر المجتمع مجرد قطاع من قطاعات أمن الدولة، فهوم هنا كيان قائم بذاته وموضوع متميز للأمن³.

وتأسيسا على ذلك، وبناء عليه، نلاحظ ومن خلال الشحن الممارس ضد الخطاب الديني، والتخويف منه، وربطه بالإرهاب والعنف والتطرف، ينشئ مجموعات بهويات ذلك الخطاب، وبما أن بعض هذه المجموعات أصبحت ومن خلال الخطاب المضاد تشكل تهديدا لأمن جماعة أخرى، فإن ذلك هو عين ما تعبر عنه المعضلة الأمنية المجتمعية، لاسيما في حالات اللجوء إلى الحلول الأمنية القمعية التي تعمل على إبادة جماعة (ما) استنادا إلى خطابها، وكثير من هذه الجماعات ومن خلال الواقع جماعات كان خطابها خطابا دينيا.

الخاتمة .

لما كان الدين يكتسي أهمية خاصة في المجتمعات العربية والإسلامية باعتباره مصدر القيم والمثل العليا، وقواعد السلوك الخلقي، ومبادئه، وطالما يعد أهم مقومات النظام الاجتماعي والثقافي، وهو بطبيعته لا تقبل سياسة الجدل، وإن جوهره يبقى راسخا لأجيال عديدة، ويشكل عاملا شديدا التأثير في توجيه تصرفات الشعوب والجماعات والأفراد، فلا بد إذا من توظيف الخطاب الديني بما يتناسب مع قدسية الدين

¹ Alam Collins, State induced security dilemma maintaining the tragedy, p,27

² عادل زقاع، المعضلة الأمنية المجتمعية: خطاب الأمنية وصناعة السياسة العامة، مجلة دفاتر السياسة الدولية، العدد5، جوان 2011، ص103

³ المرجع نفسه.

خاصة في تنمية الوعي الديني والقيم الاجتماعية ونبذ العنف والتطرف والإرهاب والعنف الذي مس بعض المجتمعات¹.

وعليه، يتعين الابتعاد عن تناول الخطاب الديني . حتى في قضاياها ذات البعد السياسي . من دائرة الأمانة، لأن أمانة الخطاب انتهاك لخصائص الخطاب الديني بوجه عام، لاسيما خاصية الوسطية التي تعبر عن قيم الاعتدال والتوازن .

إن كون المجتمع مجتمعا مسلم، ينطلق في سلوكه وممارساته من قيم هذا الدين ومن أحكامه ومبادئه، يجعل الخطاب الديني لصيقا بهوية هذا المجتمع، بل هو المشكل الرئيس لهويته التي يجب الحفاظ عليها لاستمرارها جماعة تنتمي إلى هذا الدين (الإسلامي)، الحاملة لقيمه ومبادئه، المكلفة بالدفاع عنها، وحفظها، وفي كل ذلك حفظ للدين كأحد أهم كليات الشريعة الإسلامية .

المراجع:

- القرآن الكريم
- الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مُحمَّد نعيم عرقسوسي، ط8، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ / 2005م)، ص691
- إبراهيم البليهي، وابو يعرب المرزوقي، وأماني أبو الفضل، وآخرون ، **الخطاب الإسلامي، إلى أين ؟ بعد الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001** ، " حوارات وحيد تاجا " ، ط1، (دمشق : دار الفكر، 1427 هـ / 2006 م)
- سيد قطب ، **ظلال القرآن**، ط17، (بيروت والقاهرة: دار الشروق، 1412)، ج1 ص131
- . عبد الرحمن عبد العزيز السديس، بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، ط3، (الرياض: مدار الوطن للنشر، 1438/2017)
- أبو نصر الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، (بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ / 1987م)، ج3 ص1167
- عبد الرحمن حبنكة الميداني، **الوسطية في الإسلام**، ط1، (بيروت: مؤسسة الريان، 1996/1416)
- عبد العزيز راجل، **مفهوم الوسطية في الخطاب الإسلامي المعاصر**، مؤمنون بلا حدود، على الرابط:
- علي مُحمَّد مُحمَّد الصلابي(المصري)، **الوسطية في القرآن الكريم**، ط1، (الإمارات الشارقة: مكتبة الصحابة، والقاهرة: مكتبة التابعين، 2001 / 1422)

¹ . وجدان فهد جاسم، **الخطاب الديني والوعي السياسي في مملكة البحرين تجاذب أم تنافر**، سلسلة دراسات 2017، (معهد البحرين للتنمية السياسية)، ص31

- فريد عبد القادر، *الوسطية في الإسلام*،
- محمد فران، *مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر*، ط1، (المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007 /1428)
- منى أبو الفضل، *الأمة القطب نحو تأصيل منهاجي لمفهوم الأمة في الإسلام*، ط1، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996)
- يوسف القرضاوي، *الخصائص العامة للإسلام*، طبعة جديدة مزيّدة ومنقحة، (بيروت: المؤسسة العامة للرسالة، 1983 /1404)، ص 127
- يوسف القرضاوي، *خطابنا الإسلامي في عصر العولمة*، ط1، (القاهرة: دار الشروق، 1424 /2004)

Alam Collins, State induced security dilemma maintaining the tragedy.

- ابن منظور، *لسان العرب*، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، ج 7 ص 430
- عادل زقاع، *المعضلة الأمنية المجتمعية: خطاب الأمنية وصناعة السياسة العامة*، مجلة دفاتر السياسة الدولية، (العدد5، جوان 2011)
- عبد السلام حمود غالب الأنسي، *مفهوم الخطاب الديني*، على الرابط:
<https://www.assakina.com/news/news1/27831.html>
- عبد الغني مزوز، *تحولات الخطاب السياسي الجهادي*، دراسات سياسية، 1 يناير 2018، (القاهرة: المعهد المصري للدراسات)
- وجدان فهد جاسم، *الخطاب الديني والوعي السياسي في مملكة البحرين تجاذب أم تنافر*، سلسلة دراسات 2017، (البحرين: معهد البحرين للتنمية السياسية)